٤ ـ الشـــخصية

للأستاذ محمد عطية الابراشي

المفتش بوزارة المعارف

العناصر الرئيسية التي تتكون منها الشخصية القوية :

تكلمنا فيما مضى عن الجاذبية ، والنشاط العقلي ، والمشاركة الوجدانية ، والشجاعة ، من العناصر الرئيسية المكونة للشخصية القوية . والآن نتكلم عن بعض العناصر الأخرى المقوية للشخصية كالحكمة ، والتفاؤل ، والتواضع ، ومظهر الانسان وقوامه ، وقوة البيان وأثرها في الشخصية فنقول .

الحكمة :

إن شخصية الانسان لاتكون متينة إلا إذا زانتها الحكمة والعلم والحزم ، ووضع الأشياء في مواضعها ، وقدرها حق قدرها . والرجل الحكيم هو السديد الرأي ، البعيد النظر ، الحسن التقدير ، الذي يعرف الحق فيتمسك به ، ويفعل مايجب أن يفعل ، ويترك مايَنْبَغي أن يترك ، ويقول مايجب أن يقال ، يرى الفرصة فينتهزها ، ويشعر بالطريق المستقيم فيسلكه ، يحس بنتيجة الشيء حتى قبل حدوثها ، ويعامل غيره بما يحب أن يعامل به ، ويحكم على غيره بما يود أن يحكم به عليه ، يحب لأخيه ما يحب لنفسه . وإذا حكم على غيره كان حكمه بعيداً عن الأهواء والأغراض ، تتمثل فيه النزاهة والعدالة . كل هذه الصفات نتيجة الحكمة وحسن التقدير . والحكمة صفة أساسية في تكوين الشخصية السامية . أما إذا انتفت الحكمة فان الانسان يكون واهن الرأي ، مضطرب البصيرة ، سيء الحظ ، عاثر الجد ، ضعيف الشخصية ، يعجز عن تقدير الأشياء ، ويفعل مايجب ألا يفعل ، ويهمل أموراً تجبُ العناية بها ، ويهتم بأشياء لا قيمة لها ، يحب ما ينبغي أن يكره ، ويكره ما ينبغي أن يحب ، فيصبح ضحية لوجداناته وأقواله وأفعاله ، ويصير مكروهاً لدى من يعرفونه .

ومن الحكمة أن نجتهد في إرضاء الناس — وإن كان إرضاؤهم جميعاً غاية لا تدرك — من غير أن نضحي بمبدإ من مبادئنا ، أو مظهر من مظاهر رجولتنا حتى نمتلك قلوبهم ، وهذا دليل على وجود الشخصية القوية الجذابة .

وكثيراً ماتفسد الحكمة وتشوه بالفخر ، أو التكبر ، أو الحقد ، أو الغيرة ، أو الغش . فينبغي أن يهذب الانسان نفسه ، ويترك الفخر جانباً ولا يتكبر أو يحقد على غيره ، ولا يغش أحداً أو يضله ، حتى تكون علاقته بغيره حسنة ، وتكون شخصيته محبوبة لدى من يتصلون به أو يعرفونه .

التفاؤل :

من العناصر التي لاتقل أهمية في تكوين الشخصية الممدوحة : التفاؤل والتيمن والنظر إلى الأشياء بمنظار الفأل الحسن ، ويمن الطالع ، لا بمنظار التشاؤم والتطير ، ذلك المنظار الأسود ، منظار الشؤم والطِّيَرَة . فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الفأل ويكره الطيرة . ولا نقصد بالتفاؤل أن نغمض أعيننا عن الحقائق ونتائج الأمور ، بل نقصد أن نعتاد في تفكيرنا النظر إلى الأشياء بعين الأمل والرحمة ، لا بعين اليأس والقنوط ، وننظر إليها في نور الأمل لا في ظلام اليأس ، من الناحية المضيئة من الطريق ، لا من الناحية المظلمة الحالكة . والمتفائل يرضى بالماضي خيره وشره ، ويثق بالمستقبل ، ثم يؤدي الواجب ويترك النتيجة لله سبحانه وتعالى . وتعتبر هذه العادة العقلية — عادة التفاؤل — من الأمور

الالتحاق بعصبة جنيف . ومن الخطأ أن يتصور البعض أن المثول في العصبة من مظاهر الاستقلال ، فان بين أعضاء العصبة مستعمرات وأملاكاً مستقلة طبقاً لما ينص عليه ميثاقها .

لقد تمزق الحجاب أخيراً عن ذلك الرياء الدولي الذي استمر زهاء خمسة عشر عاماً ، والذي لبث حيناً يحتضن الدعوة إلى السلام وتفاهم الأمم ، ويعقد المواثيق للتحكيم وتحريم الحرب ؛ وعادت أوربا القديمة إلى سياستها القومية القديمة ، عمادها القوة والعنف ، وغايتها افتراس الأمم الضعيفة ؛ وما عصبة الأمم إلا عرين الأمم المفترسة قبل كل شيء ، ولا خير لأمة ضعيفة أن تقر الذئاب على رياتها ، ولا خير لها بالأخص في أن تندمج معها في صعيد واحد .

محمد عبد الله عنان
المحامي

الجوهرية فى تقوية الشخصية . وكثيراً ماينشأ التفاؤل عن نشاط الشخص وقوته العقلية والعصبية ، وعن نوع الأفكار التى يسمح لها بالدخول إلى العقل ، وإذا تعود الانسان أن يزود نفسه بالأفكار الصحية السارة فانه لا يتجنب التشاؤم والحزن فحسب ، بل قد يطل من نوافذ العقل على الناحية السارة المضيئة من الحياة .

وينشأ التشاؤم عن ضعف النشاط وضعف القوة العصبية ، ووهن الرقابة العقلية (Mental control) فى الانسان ؛ فيسمح لنفسه بأن تسبح فى جو مظلم من الأوهام حتى يصبح عقله متلبداً بغيوم لاحقيقة لها ، ودخان لاأصل له ، هى غيوم التطير ودخان التشاؤم . وإن ضبط النفس والنظر إلى الناحية السعيدة دائماً مما يزيل عن أولئك المتشائمين وهؤلاء المتطيرين هذه الهموم والأحزان التى تسيطر على نفوسهم . وإذا كان التفاؤل موقظاً للعقل ، ومدعاة للنشاط وباعثاً على الاقدام ، ومحرراً للانسان ، ومنشطاً لجميع قواه العقلية ، فالتشاؤم سبب فى الخمول والكسل وكثرة التردد والفشل والشقاء والضعف لافى التفكير فحسب ، بل فى الشخصية أيضاً .

فالشخصية الحية القوية ينبغى أن تتمسك بالتفاؤل ، وتلتزم الناحية السارة ، يقودها الأمل ، ويحييها الرجاء . تفكر فى النجاح أكثر من الخيبة ، وفى التقدم أكثر من التأخر . وتميل إلى جانب الثقة أكثر من الميل إلى جانب التردد ، وتثق بما تقول وما تفعل ، ولديها كل علاج وهى منبع النشاط والقوة . قال (روبرت برونتج)[1] : « من الحكمة أن ترجح جانب الخير على جانب الشر ، واللين على الشدة ، والتعقل على الطيش ، والأمل على اليأس ، والنور على الظلام »

التواضع وعدم التصنع :

العنصر السادس من عناصر الشخصية التواضع وعدم التصنع ، وذلك بأن يكون لدى الانسان استعداد به يقدر نفسه ومركزه تقديراً يدل على التفكير والحكمة من غير تصنع أو تظاهر بما ليس فيه .

فاذا تصنع المرء وادعى صراحة أو ضمناً ما ليس فيه ؛ كأن يقدر نفسه فوق قدرها ويعطيها أكثر من حقها ، وتعظم وما هو بالعظيم ، ويدّعى العلم وما هو بالعالم ، والثروة وما هو بالثرى ، والقوة وما هو بالقوى — إذا ادعى شيئاً من هذه الأشياء فقد يتضح أمره لدى الناس ، ويتبين جهله أو فقره أو ضعفه على عكس ما ادعى ، فيعلمون كذبه ، فيحتقرونه ويزدرونه ، وينفرون منه ويتباعدون عنه ، ويصبح ممقوتاً عندهم جميعاً .

وإن مدح الانسان نفسه ثقيل لايقبل ، وإذا قبل فانه يجب أن يستند إلى حقائق . والأولى أن يترك الانسان عمله ليدل عليه ويتحدث عنه ، بدلاً من أن يتحدث هو عن نفسه . وإن كان المرء جديراً بالمدح فسرعان ما تظهر حقيقته ، ويقدر الناس كفايته ، ويزنون أعماله ، ويعترفون بشخصيته ومقدرته . فالتواضع سبيل النجاح والرفعة ، والتصنع سبيل الفشل والذلة .

وإننا وإن كنا ضد التصنع والتظاهر لا نمنع أن ننزل أنفسنا منزلتها ونعدها وحدة من المجموع ، لها ماله وعليها ما عليه ، ونستحسن أن نترك للغير الحكم لنا أو علينا ، وأن نتحلى بالتواضع فى غير ضعف أو ذلة . فالتواضع أساس للشخصية المحبوبة الجذابة . وإننا نجتذب غيرنا بقدر ما يحبنا الغير . وإذا كانت الشخصية مظهراً لقوة النفس فهى عدوة الكذب والتضليل . فليس المهم فى أن تدّعى كذباً ، ولكن المهم فى أن تعمل حتى تثبت لنفسك العظمة إن كنت عظيماً .

مظهر الانسان وقوامه :

لمظهر الانسان أثر فى شخصيته ، فالرجل الصحيح الجسم الحسن القامة ، قد لا يحتاج فى إظهار شخصيته والتأثير فى غيره إلى ما يحتاجه الشخص النحيف الجسم ، المشوه الخلقة ؛ فبينما تجد الأول طبيعياً فى معاملته لأنه لا يشعر بنقص خارجى يريد أن يكمله ، إذ تجد الثانى محباً للتظاهر ، متكلفاً فى أقواله وأفعاله ، متخذاً كل وسيلة يستطيع أن يظهر بها نفوذه ، فيتظاهر بالعلم تارة ، ويفخر بحسبه ونسبه تارة أخرى . وقد يتخذ أحياناً وسائل ثعبانية أو ثعلبية ، ليظهر بها نفسه أمام من يبغى الظهور بينهم ، فيلجأ إلى الوشاية حيناً ، وإلى الملق حيناً آخر . وقد يضطر إلى

(١) هو شاعر انجليزى كبير (١٨١٢ — ١٨٨٩ م) مشهور بغموض الأسلوب

التجمل فى جسمه ولبسه، أو الداعية فى حديثه ، كل ذلك ليكمل ما فيه من نقص جسمى .

فالانسان حينما يحس بنقص من الناحية الجسمية مثلاً تراه يعمل على أن يسد هذا الفراغ ، ويكمل ذلك النقص من الناحية العقلية أو الخلقية حتى يظهر شخصيته للملأ . فسقراط مثلاً شيخ الفلاسفة من اليونان ، كان أفطس الأنف ، غليظ الشفتين ، جاحظ العينين ، قبيح النظر ، ولكنه قد وصل بمواهبه العقلية والخلقية الأخرى الى ذروة المجد . ويكفيه فخراً أنه أستاذ أفلاطون ، وأنه أكبر فلاسفة اليونان . والجاحظ كان أديب العلماء ، وعالم الأدباء ، وما لقب بهذا اللقب الذى كان مبغضاً اليه إلا لأنه كان جاحظ العينين (بارزهما) ، دميم الخلقة ، حتى قيل إن الخليفة المتوكل سمع بمنزلته من العلم والفهم ، فاستقدمه اليه (بسر من رأى) ليؤدب ولده ، فلما رآه استبشع منظره ، وصرفه بعشرة آلاف درهم . ولكنه بجانب ذلك كان خفيف الروح ، ذكى الفؤاد ، واسع الاطلاع ، وكان يعد دائرة معارف فى الآداب والعلوم واللغة والتاريخ حتى أصبح لقبه — الذى كان يكرهه — دليلاً على التبحر فى العلم والأدب ، والتفوق فى فنون البلاغة والبيان ، سئل كيف حالك يا أبا عثمان ؟ فقال : « حالى أن الوزير يتكلم برأيى ، وينفذ أمرى ، ويواتر الخليفة الصلات إلىّ . . . . » والتاريخ حافل بكثير من العظماء المشوهة أجسامهم ، السامية أرواحهم وعقولهم ، فلا حاجة بنا الى التطويل . وكل ما نريد أن نقوله هو أنه إذا نقص الانسان من جهة حاول أن يكمل نقصه من جهة أخرى

فرط البيان :

إن قوة البيان ، وفصاحة اللسان ، وحسن النطق والقدرة على التأثير فى السامع مع رجاحة العقل ، تكسب الانسان شخصية وتجعل له منزلة بين سامعيه ، ولذلك لما أمر سيدنا موسى عليه السلام أن يذهب الى فرعون ، شكا موسى الى ربه من أن أخاه هرون لفصاحته قائلاً : « وأخى هرون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى ردءاً يصدقنى » يريد فرعون . وإننا لا نريد بالفصاحة الثرثرة والتشدق والتوعر فى الكلام ، كما لا نريد بها أن يزيد كلام الانسان على عقله ، بل نريد حسن التعبير عما فى النفس ، وقوة التأثير فى المستمع ، والتكلم من غير تهيب أو تخوف بحيث يكون الكلام حلواً رشيقاً ، سهلاً عذباً مؤثراً . أما الحبّ والحصر واللجلجة ، والتمتمة والفأفأة وكثرة التردد فى القول ، والخجل فى أثناء التكلم فتقلل من تأثير الشخص فى سامعيه . وإن حُسْن التعبير عما فى النفس شرط أساسى لقوة الشخصية ، وهو يتطلب العلم بالشىء الذى نريد التكلم عنه ؛ لأن أفكارنا إذا عرفت كان من السهل التعبير عنها . وكما يجب أن نعرف ماذا نريد أن نقول ، وما نريد أن نفعل ، كذلك يجب أن نحسن القول ونحسن العمل . وما أجمل الكلمة الصائبة فى اللحظة المناسبة . وكما ينبغى حسن التكلم والخطاب ، كذلك ينبغى حسن الاصغاء والاستماع للغير . وقد تكون لدينا الأفكار السامية ولكننا نحتاج الى شجاعة فى إظهارها حتى ينتفع بها غيرنا . . ؟

محمد عطية الابراشى